المشرق

الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية

بحث لاهوتي تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي

في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٩ اصدرت البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق العدد الاوّل من مجلّة دينية علمية اخلاقية دعتها « النعمة » وافتتحها غبطة السيد البطريرك غريغوريوس برسالة رعائية ضافية الاذيال قدّم فيها المجلة الطائفية للاكليروس والشعب المسيحي ووصف غايتها التي هي « نشر حقائق الايمان وبثّ روح المحبة واحياء ميت الرجاء بتقدم المادة في دورها هذا » (صفحة ٨) وجاء في المقدّمة ان الكرسي الانطاكي كان في حاجة لمجلّة « تنوب عن احواله وتخدم ابناءه بنشر ما تختاره لهم من جليل الفوائد وجميل المباحث جامعة بين خدمة الدين والادب والدولة والوطن » وهي تبحث عن العقائد والعلوم والآداب وتنشر الحكم والمواعظ والاخبار مطبوعة في مطبعة البطريركية الانطاكية . وأوّل مباحثها هي الدينيات « تشمل البحث في العقائد وتاريخ الكنيسة ونظامها والآداب المسيحية وشرح الطقوس والعادات الكنسيّة وما شاكلها » اه

نرحبنا بالرصيفة الجديدة وبالمقالة الافتتاحية التعليمية الاولى التي اصدرتها في عددها الثاني والثالث عنوانها « قانون الاسفار المقدّسة » وعكفنا على مطالعتها بشوق لخطارة الموضوع ألا وهو البحث في كتب الله المقدّسة التي تقدر كما كتب بولس لتيموثاوس في رسالته الثانية (٣ : ١٥) « ان تصيّر [الانسان] حكيماً للخلاص بالايمان بالمسيح يسوع لان الكتاب كلهُ قد أوحيَ بهِ من الله وهو مفيد للتعليم وللحجاج

وللتقويم وللتهذيب بالبرّ » وكان رجاؤنا الاستفادة آملين ان نقرأ بحثًا مدققًا يتتبّع فيه الكاتب تاريخ الشرق المسيحي ويثبت بالبرهان قانونيّة تلك الكتب المقلة . وكلّ يعرف انّ البروتستانت انكروا قسمًا منها في القرن السادس عشر فقامت عليهم كنائس الشرق والغرب فزيّفت بدعتهم والتأمت المجامع الارثوذكسية في القسطنطينية وياش والقدس الشريف فقضت عليهم بالحرم حتى جاز لها ان تقول « ان الكنيسة الارثوذكسية قد حافظت على هذه الوديعة سالمةً كما تسلمتها من الرسل الطاهرين دون ان يطرأ عليها شيء » كما جاء في مقدّمة المقالة

وقد كنّا قيّدنا ما اقتبسناه من مطالعتنا للكتب والنصوص الخطية شذرات وشهادات تعرب عن صدق معتقد الطائفة الارثوذكسية من القرن السادس عشر الى يومنا في مسألة قانون الاسفار الالهية وانها ناضلت عنها جيلًا بعد جيل بصوت مجامعها وبطاركتها واساقفتها وكتبتها الممتازين حتى كنا نعتبر نتيجة درسنا وتنقيرنا حقيقة راهنة لا ينكرها كاتب

وما اشدّ ما كان استغرابنا عند ما رأينا صاحب المقالة التعليمية الدينية الاولى — وقد اغفل اسمهُ — قد كتب ما كتب في مجلة النعمة دون تروٍّ كأنه فانكر وحي قسم مهمّ من الكتب المقدّسة جارى في ذلك الهراطقة الذين حرمهم آباؤهُ ودحضوا اضاليلهم . واي ضلال اضلّ من انكار وحي الله للبشر ونبذ رسائله الالهية التي تعطف فبعث بها الى كنيسته المقدّسة كنزًا ثمينًا قاعدة للايمان وينبوعًا للخلاص

على ان الكاتب الارثوذكسي الاديب لم يلقِ بنظره الى التعاليم والمقالات والمجامع التي تركها لهُ آباؤهُ القريبو العهد . ولو فعل لاقتبس منهم في موضوعه فوائد جمّة ولم يحد عن جادّة الحقيقة . لكنه اقتصر على كتاب او كتابين جعل قولهما حجّة رضيها نقل نصوصًا لبعض الآباء ولم يميز بين زمن الجدال الذي حدث في شأن هذه الاسفار وبين الاجيال السابقة واللاحقة . فذكر ١٥ شاهدًا الى القرن التاسع وقفز منهُ الى السابع عشر ضاربًا صفحًا عن كل ما جاء خلافًا لمدّعاه من صريح الشهادات التي لا تحصى . كما انهُ لم يفرق بين اقوال الآباء في مباحثهم مع اليهود حيث يُلجأون الى الشهادات المقبولة من الخصم ويضربون صفحًا عما سواها

واذ ثبت في رأيي . الكاتب وزعمه نكران الوحي الالهي لعدد من الاسفار جعل

يؤوّل اقوال الجامع على ما يشأ فاذا ذكر القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل وقرأ هناك في عداد اسفار العهد القديم اسفاراً أخر لا يرضى بوحيها اخيرًا «ان النص الواضح يُبطل ان هذا التعداد جاء لتعيين ما يجدر بالاكليروس والشعب اعتباره ولم يجئ لسرد تأصيل قانونية تلك الكتب... وان الحليق بالمسيحيين ان يتصفّحوها «علاوة» (كذا) على الكتب القانونية». وهو بذلك لا شارح ولا مفسر للمجمع لكنه مختلق لنص من قلمه الخاص

وان الح الى مجمع قرطجنة جهل او تناسى ان مجمع القبة (In Trullo) — الذي يلحقهُ الروم بالمجمع السادس المسكوني ويعتبرونهُ قسماً منهُ له ما للمجمع السادس من الالزام الاعتقادي (١) — قد اثبت قانون قرطجنة ايضاً فاصبح هذا القانون قاعدة وحكماً مجمعياً مسكونياً واعلنت حضرته ان «النص يعلن (في مجمع قرطجنة) ان البيان منصرف الى تعداد الكتب المفيدة للمطالعة والتلاوة في الكنيسة» بيد ان نصهُ الصريح هو هذا: «لا يجوز ان يُقرأ في الكنيسة شيءٌ تحت اسم الاسفار الالهية خلا الاسفار القانونية. اما هذه الاسفار القانونية فهي للعهد القديم: سفر التكوين... خمسة كتب سليمان... وطوبيا ويهوديت وسفرا المكابيين (٢)» فاي نص اصرح وابين؟ وكيف لم «يتضح جلياً» هذا الامر لحضرته واتضح لهُ جلياً نقيضه؟

وان عرّض باقوال الاباء اجاب مسلّماً «بورود ذكر قانونيّة الاسفار التي ينكرها في مؤلفات بعض علماء الكنيسة ومعلميها الغربيين القدماء» وفسّر كلامهم كما شاء بلا سند خلا مدّعاهُ الذي يعتبرهُ حجّة

وهنا نحن في دهشنا اذ جاءتنا مجلة «الكلمة» الارثوذكسية المطبوعة في نيويورك لمنشئها سيادة الاسقف وفائيل هواهيني فرأيناها في عدد ١٥ اب ١٩٠٩ تضرب على وتر «النعمة» وان اختلفت مقالة هذه عن تلك ببعض الاختلاف. فان «الكلمة» تسلّم قائلةً:

---

١) هذا برهان السلامة الارثوذكسي قسطنطين اوكونوموس في كتابهِ المستير الذي ألّفهُ في الترجمة السيمنية وصدّرهُ البطريرك اثيموس السادس برسالة قال فيها: انا نثبت هذا الكتاب لانهُ يحتوي بدون غشّ التعليم الطاهر في الارثوذكسيّة

٢) الطب مانسي: مجموعة المجامع المجلد ٣: العمود ٩٢٦ والمجلد ٤: العمود ٤٣٠

« ان اعاظم اباء الكنيسة ومعلميها الاقدمين كانوا يستشهدون في مؤلفاتهم بعبارات كثيرة من الاسفار الغير القانونية [على رأيه ولكن على رأينا ورأي الكنيسة الارثوذكسية قانونية الهية كما سترى] لا بل كثيراً ما كانوا لدى ايرادهم شهادة منها يقولون : « قال الكتاب او قال الكتاب المقدس » هكذا ترى شهادات كثيرة مأخوذة من سفر طوبيا في مؤلفات اكليمس الاسكندري وكبريانوس واوريجانيس وابرونيموس وافسطينوس . ومن سفر يهوديت في مؤلفات اكليمس اسقف روية وترتليانوس وابرونيموس وافسطينوس وغيرهم . ومن سفر حكمة سليمان في مؤلفات ايريناوس واكليمس الاسكندري واوريجانيس وكبريانوس وابيفانيوس وايلاريوس . ومن اسفار المكابيين في مؤلفات غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم فضلاً عن ان الكنيسة في اول شهر آب تعيد لتذكار القديسين السبعة الفتية المكابيين واسم سلموني (كذا) ومعلمهم الماجور (٢ مكا ٧ : ٢١)

فاين هذا العدد من الآباء الشرقيين والغربيين امام ما ادّعاهُ كاتب « النعمة » فذكر مستهتراً « بعض علماء الكنيسة الغربية » . ونحن نريد عليهم القديسين بوليكربوس وهيبوليتوس وديونيسيوس الاسكندري وغريغوريوس العجائبي ومتوديوس وهيلاريوس وافرام وباسيليوس الكبير وكيرلس الاورشليمي واوبتاتوس وكيرلس الاسكندري الخ الخ

فالنتيجة المستخلصة من هذه المقدّمة حقُّها ان تكون ان هذه الاسفار هي الهية قانونية لان اعاظم الاباء والمعلمين الاقدمين يستندون اليها براهينهم التعليمية الاعتقادية ويصفونها بالكتاب المقدس ويصدّرون نقلهم لاياتها بقولهم : « قال الكتاب المقدس » و « قال الروح القدس » و « هكذا يعلمنا الروح القدس » و « هذا ما نقرأ في الكتب الالهية » . لكنهُ لما اعتبر الكاتب مبدأه امراً مسلّماً به لا يُنكَر اغفل كل التتائج ولم يستخلص منها الا ما وافق رأيه وزعمه . هذا والحق يقال من اغرب المبادئ المنطقية

وبعد ان استشهد صاحب مقالة النعمة بخمسة عشر شاهداً حتى القرن التاسع اعتبرهم مثبتين لرأيه الحقهم بشهادة سادسة عشرة لتروفانوس كريتوبوليس في القرن السابع عشر ثم قال : « ان هؤلاء الثقات احصوا جميعاً كتب العهد العتيق القانونية اثنين وعشرين كتاباً واجماعهم في ذلك حجة قاطعة تعلن ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير »

*

(قلنا) والحقيقة هي نقيض دعواه وهي ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيّر حتى ايامنا هذه — اللهم خلا ما تجرّأ عليه الكتبة المتشربون المبادئ البروتستانية — ألا وهو قبولها الاسفار التي

انكرها صاحب المقالة « كاسفار قانونية مقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية مثبتة منها كقسم من اجزاء الكتب الالهية ». وقد شهد بذلك صاحب المقدّمة على « كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة التي طبعت في بيروت سنة ١٨٧٠ في المطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايروتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة تاطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي »

ولا يجب بتروفانوس كريتوبولوس امام ما سنذكرهُ من الشهادات عن صدق الامانة الشرقية متتبعين الآثار التاريخية الى أيامنا مدافعين عن هذه الامانة التي سعى الساعون ليبدلوها بشارة جديدة لم تأتهم من الرسل ولا من الاباء الطاهرين. ثم نعود في فرصة أخرى ان شاء الله الى قانون الاسفار الالهية وننظر فيه نظرًا تعليميًا متتبعين اقوال الجامع والاباء فيظهر للقرّاء « صدق قانونية اسفار الله التي انكرها المراطقة نهاية في الصدور » كما قال ميلاثيوس سيرغوس الارثوذكسي وذلك لانهم وجدوا فيها الاعتقاد بشفاعة القديسين والصلاة لراحة الموتى وهم لا يرضون بها (١)

*

﴿ موضوع البحث ﴾ في مقالتنا هذه نتحرّى اثبات قضيتنا المناقضة لما جاء في مجلة « النعمة » الارثوذكسية وهي قولنا: ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تعتقد بصدق قانونية الكتب التي دعاها الكاتب « كتبًا كنسية او كتب التلاوة » التي هي على زعمه « غير داخلة في قانون الاسفار الالهية » وليست « بوحي الله على محض التنزيل » وان كانت « مفيدة وجديرة بكل اكرام واحترام » او بلفظ آخر بدعي انها كلام البشر لا كلام الله بينما الكتب التي قبلها هي بالحقيقة كلام الله. اما نحن فنقبل هذه الاسفار ككلام الله هي وسائر الاسفار المقدّسة على حدّ سواء في الاكرام ونعتبرها قانونًا للحقيقة لا يتغير

ولا نريد الان ان ننظر في اقوال الاباء وندافع عن معتقدهم في قانونية الاسفار المنكرة. ذلك موضوع يستغرق مقالة برمّتها فلجنه الى عدد آخر لكن غايتنا اليوم ان

---

(١) اطلب كتابهُ صفحة ١٥٥ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυρίλλου τοῦ Λουκάρεως ἀντίῤῥησις

نبين شطط من ادّعى ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تنكر قانونية هذه الاسفار وذلك تملّا عما تسلّمته من الاباء الاقدمين والتقليد الكنسي المتواصل الذي جاهرت به مرارًا من القرن السادس عشر الى ايامنا

﴿ قانون الاسفار الالهية ﴾ قانون κανών كلمة يونانية معناها القاعدة استعملها ايضًا كتبة القرن الرابع بمعنى الجدول كمرادفة لكلمة κατάλογος فضمّت المعنيين معنى الجدول ومعنى الرسم او قاعدة الايمان فقالوا قانون الكتب الالهية اي مجموعة او جدول الاسفار المقبولة من الكنيسة كاسفار منزلة الهية قاعدة ونظام الحقيقة التي اوحى الله بها. وقالوا كتاب قانوني اي داخل في هذا الجدول ومن ثمّ جدير ان يكون قاعدة للحقيقة لانهُ موحى به من الله (١

وهذا القانون قسمان: قسم يختص باسفار العهد القديم وقسم باسفار العهد الجديد. وكلامنا الان عن العهد القديم الذي تعرّض لهُ الكاتب الارثوذكسي (٢

وقانون العهد القديم قد اعتاد المؤرخون تمييزهُ الى قسمين قسم لهُ اصل عبراني محفوظ في توراة يهود فلسطين يقبلهُ اليهود والمسيحيون بغير جدال ويستعملهُ الاباء القديسون في مباحثهم مع اليهود وهو القسم الذي رضي به صاحب « النعمة ». وقد سمّى الاباء اسفارهُ ἀναλογούμενα اي الاسفار التي لا مناظرة فيها يرضاها الجميع. وسمّاها كتبة القرن السادس عشر (protocanoniques) اي القانونية الاولية. وقسم لم يحفظ نصّه العبراني الاصلي او أُوحي به باللغة اليونانية فحُفظ في الترجمة السبعينية فقط وعليهِ حدث جدال نظري في القرن الرابع للمسيح بين الكتبة الكنسيين لثبات قانونيته او عدمها. وهذا القسم يُدعى باليونانية ἀντιλεγόμενα اي الاسفار التي يُجادل في صدق وحيها. وقد دُعيت في القرن السادس عشر (deutérocanoniques) اي القانونية الثانية تمييزًا لها عن الاولى

---

١) اطلب القاموس الكتابي (Dictionnaire Biblique) وقاموس الدفاع عن الدين (Dictionnaire Apologétique) الذي ينشرهُ تباعًا عدد من اعاظم الكتبة تجد هناك بحثًا طويلًا في المعنى اللغوي والتاريخي لكلمة قانون

٢) وقد ذكر الكاتب قانون العهد الجديد وعدد اسفاره فنسي عمدًا او سهوًا سفر رؤيا يوحنا وهذا من الغرابة بمكان

وهنا نلاحظ ان الاباء الذين شكوا نظرياً في وحي بعض الاسفار ما زالوا يحفظون التقليد المتابع في مقالاتهم باستعمالها برهاناً تعليمياً هي والاسفار الاولى على حدّ سواء. وما زالت تنكشف الرغوة عن الصريح الى ان تغلّب الرأي العام في الكنيسة الجامعة على رأي بعض الافراد واثبتت المجامع قانون الاسفار الالهية كما جاء في النسخة السبعينية

وكانت المباحثة قد هدأت او بالحري قد انطفأت منذ اجيال ورضي الجميع نظرياً وعملياً بقانونية الاسفار الثانية إذ قام في القرن السادس عشر هامتا البدع الحديثة لوثير وكالوين فشنّا الغارة على كتب الله وابطلا قسماً منها في التعاليم خلافاً لمعتقد الكنيسة الشرقيّة والغربية. فوقف في وجههما اباء المجمع التريدنتيني المسكوني القدّس فحدّدوا جدول الاسفار القانونية المقبولة في كنيسة الله تحديداً نهائياً واولوا الحرم على كل معاند وقرّروا ان هذه عقيدة لا ريب فيها لا ينكرها الّا المبتدع الهرطوقي. وحذت الكنيسة الارثوذكسية حذو الكنيسة الكاثوليكية رغماً عمّا بينهما من الخلاف فاقرّت بنفس الجدول او القانون وحرمت من يخالفهُ

﴿ اسفار قانون العهد القديم ﴾ لا نجد في اسفار العهد الجديد جدولاً رسمياً للكتب الالهية القديمة المسلمة صباتها للكنيسة المسيحية. لكن المخلص والرسل قد استشهدوا مراراً بآيات كتابية فجاءت شهادتهم اوّل برهان لتنزيل الكتب المستند اليها. ومن تصفّح الانجيل الطاهر والرسائل وجد الكتبة الالهيين كثيراً ما يأتون بالنصوص النبوّية القديمة التي قال المخلص انهما تشهد لهُ (يو ٥: ٣٩). وقد ينقل الرسل النصوص الالهية تارةً بالحرف وتارةً بالمعنى او يلمحون اليها تلميحاً فاذا جمعت هذه النصوص استخلصنا منها نتائج كتابية جمة منها معرفة ما اعتبرهُ كليسة الله وحافظو تعاليمه منزلاً الهياً (اطلب المجلد الثالث من الكتاب المقدّس المطبوع في مطبعتنا ص ٤٦٥–٤٨٣). وهذا الدرس اتبعهُ عدد من الكتابيين العلماء متتبعين كلًّا من الاسفار المحفوظة في الترجمة السبعينية

وتلا الاباء تاوهم واتقنوا اثرهم في اسنادهم التعاليم الخلاصية الى المجموعة السبعينية كما استندوا من الرسل والتلاميذ لكنهم اذا جادلوا اسرائيلياً استندوا قولهم الى ما لا جدال في إثبات وحيهِ وهكذا تحلّ اكثر المشاكل الناتجة عن بعض النصوص المبهمة

﴿ عدد الاسفار القانونية الاولى ﴾ هي التي لا تزال محفوظة في التوراة العبرانية والتي لم يحدث جدال بشأنها وعددها ستة وثلاثون على حساب كثير من البروتستانت او تسعة وثلاثون على حساب صاحب المقالة في « النعمة » او ثمانية وثلاثون كما جاء في « الكلمة ». لكنها قد تضمّ بعضها الى بعض فتُحصى اثنين وعشرين كتاباً على عدد احرف الهجاء العبرانية او اربعة وعشرين على حروف الهجاء اليونانية . وهذه الاسفار كُتبت بالعبرانية خلا بعض مقاطيع لا تُعرف الّا باللغة الكلدانية او الآرامية

﴿ الاسفار القانونية الثانية ﴾ من تصفح مجموعة الكتاب المقدّس في اي لغة او عند اي طائفة شاء مبتدئاً من الترجمة السبعينية الجليلة الى اياما — خلا بعض النسخ البروتستانية الحديثة — يجد اسفاراً أُخر مختلطة في وسط الاسفار التي عددناها تحت اسم واحد لا ميزة بينها . وهي هذه : ١ً طوبيا او طوبيت — ٢ يهوديت — ٣ً سفر الحكمة — ٤ً يشوع بن سيراخ — ٥ باروخ — ٦ً سفر المكابيين وبعض قطع في سفر استير وتسعة الثلاثة الفتية في الفصل الثالث من سفر دانيال وخبر سوسنة والتنين في الفصل ١٣ و ١٤

وهذه الاسفار والمقاطيع قسمٌ منها كُتب ولا شك باليونانية وهما سفرا الحكمة والمكابيين الثاني . وقسم فُقد اصلهُ . فقد عرف اوريجنيس سفر المكابيين الاوّل بالعبرانية ووُجدت موخّرًا في كنيس القاهرة قطعٌ عبرانية قديمة اثبت العلماء انها النصّ الاصلي العبراني لسفر يشوع بن سيراخ . اما طوبيا ويهوديت والقطع المذكورة من دانيال واستير فقد ذهب العلماء المحدثون المدققون ان اصلها العبراني قد فُقد مع الايام (١ . هذه الاسفار

---

١) جاء في الكاتيشيس الارثوذكسي المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٥ (صفحة ١٨) : « لاي سبب في احصاء كتب التيقة هذا لم تعرض حكمة سيراخ وبعض كتب اخرى غيرها ؟ الجواب : لانهم غير موجودين في اللغة العبرانية ». قلنا وقد اثبت العلماء ان ابن سيراخ كُتب بالعبرانية ونُقل الى اليونانية كما بيّنا في النص . وكاتب هذه الاسطر يذكر انهُ لمّا وُجدت هذه القطع العبرانية لابن سيراخ كان مارًّا باحد شوارع باريس فاذا بالعلامة الاسرائيلي المستشرق الشهير هالاوي (J. Halévy) يناديه وهو يبتسم ابتهاجاً وقائلًا : اسمعتَ باكتشاف قطع عبرانية لابن سيراخ ؟ قلتُ : لا . فجعل العلامة يشرح الامر بالتفصيل ويقول : هذا ما كنتُ اعتقدته طول حياتي فكان المخالفون يماندوني فجاء الاكتشاف مثبتاً لحسباني . وزاد : ارجوك ان تخبر الاب د . وغيره من دارسي العلوم الكتابية بهذا الامر الاثير .

وتزيد : لِمَ لا يرضى صاحب الكاتيشيس الّا بما كُتب بالعبرانية ؟ ألا يحقّ له ان يستعمل

حفظتها لنا الترجمة السبعينية في عداد الكتاب المقدس وعليها كلامنا في هذه المقالة

*

وقبل ان نورد الشهادات المثبتة اعتقاد الطائفة الرومية الارثوذكسية المتواصل في قانونية هذه الاسفار لا بدَّ لنا من ايراد ملاحظة:

لم يتفق الكاتبان الارثوذكسيان في الجلَّتين الارثوذكسيتين في ايرادهما الاسفار التي يزعمان انها غير قانونية. فكاتب « النعمة » يرضى باستير ودانيال ولا يتعرض للمقاطيع . اما صاحب « الكلمة » فانهُ ينكرها وينكر ايضاً صلاة منسى في آخر اخبار سفر الايام الثاني

ثم يلحق كاتب النعمة بسفر ارميا كتاب باروخ ورسالة ارميا . وعلى ما يتراءى من كلامه يعتبرهما قانونيين — وكاتب الكلمة يعدُّهما بين الكتب الغير القانونية

ومهما كان من امر اتفاقهما او عدمه فانا نثبت ان الكنيسة الارثوذكسية قبلت قانونية كل الاسفار التي انكر كلا الكاتبين قانونيتها تبعاً لتعليم البروتستانت في القرن السادس عشر. ولا نتعرَّض اليوم لاقوال الاباء القديسين وشرح ما اوردهُ من النصوص والجواب على ما جاء به من الاعتراضات فموعدنا مقالة أُخرى ان شاء الله

البرهان الأوَّل

في انَّ الكنيسة الارثوذكسية قبلت قانونية الاسفار الثانية بقبولها الترجمة السبعينية

كل يعرف ان الترجمة السبعينية هي ترجمة يونانية سبقت العهد النصراني كان يهود القطر المصري يستعملونها ويعتبرونها اعظم اعتبار حتى ان كثيرين من اليهود ومن المسيحيين ذهبوا الى انها موحاة على مثل النص الاصلي العبراني. وهي تضمّ الاسفار الاولية والثانية مختلطة بعضها مع بعض لا خلاف بين هذه وتلك ولا ميزة. ومن ثم يُستخلص ان يهود الاسكندرية على الاقل كانوا يعتبرونها كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهية. وبهذه الترجمة وبالترجمات المعزوة لاكويلا وسوماك وتيودوشون التي هيَ ايضاً تحوي (كما يظهر من بقاياها) الاسفار الثانية انتشر الكتاب المقدَّس في القرون الاولى. وجدير

غير هذه اللغة اذا شاء ان يوحي اسراره للبشر؟ أوَلا يوجد في الكتاب العبراني قطع ارامية او كلدانية. وعلى كلٍ فالكتاب المقدس وديعة الكنيسة المقدسة وهي وحدها تنبئنا عن الكتب المنزلة

بالملاحظة ان كتبة العهد الجديد قد اعتادوا ايراد الآيات التي يستشهدون بها تبعاً للترجمة السبعينية. على اننا اذا خصصنا بالنظر الكنيسة الشرقية عموماً واليونانية خصوصاً وجدناها الحافظة الامينة على الترجمة السبعينية والمادحة لها جرياً على مسلك الاباء الاقدمين لا تعرف غيرها ولا ترضى الّا بها وقد قبلتها كما هي واعتبرتها المجموعة الصادقة والكاملة للكتاب المقدّس ولم يحدث مدّة ثلاثة قرون اعتراض على هذا الاعتبار. وبعد الجدال الذي حدث في القرن الرابع فتغلب فيه الحقّ على الشك واستتبّ الاعتقاد بالمجموعة السبعينية. قال مجمع اثينا سنة ١٨٣٥ مقرراً النظمات الجوقستنتية للكتاب المقدّس: « ان الترجمة الوحيدة القانونية للعهد العتيق التي تقبلها الكنيسة الشرقية هي الترجمة القديمة السبعينية » وقال سنة ١٨٣٦ البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس: « ان الكنيسة الشرقية تقبل الترجمة السبعينية ضبطاً وشرعها اعظم اعتبار كانها النصّ الاصليّ بالذات » وسنة ١٨٤٨ اعلن البطاركة مجمعياً رأيهم قائلين: « ان كنيستنا تحفظ سالمة صحيحة الآيات الاسفار المقدّسة المصومة وهي الترجمة الصادقة والكاملة للعهد العتيق والنص المقدّس للجديد (١ » وقد وقّع على هذا النص الاخير بطاركة القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم وواحد وثلاثون اسقفاً. اليس هذا يعادل اقراراً بقانونية الاسفار المذكورة في الترجمة السبعينية؟

البرهان الثاني

حكم المجمع اللاحق بالمجمع السادس

ولم تكن الترجمة السبعينية السبب الوحيد لاعتقاد الكنيسة اليونانية بقانونية الاسفار المذكورة فان لها خلا سائر الكنائس برهاناً آخر في القرون الثماني للمجمع الملقب « إن ترولو » او القبة (in Trullo) الذي يُلحقه اليونان بالمجمع المسكوني السادس ويقدّرون احكامه قدر احكام الجوامع المسكونية. فقد جاء فيه ان المجمع

---

١) اطلب مجموعة المجامع لمانسي (جلد ٤٠ العامود ٤١٦) وهذا هو النصّ اليوناني:
ἡ ἐκκλησία ἡμῶν κατέχει αὐτὰ τὰ ἀδιάπτωτα καὶ ἀνόθευτα κείμενα τῶν Θείων Γραφῶν, τῆς μὲν παλαιᾶς διαθήκης τὴν ἀληθῆ καὶ ἀρτίαν μετάφρασιν, τῆς δὲ νέας αὐτὸ τὸ θεῖον πρωτότυπον.

يقبل القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل الذي يعدد الاسفار الالهية (خلا ما جاء فيه بشان رسومات الرسل (Constitutiones apostolicæ) لان المراطقة قد تلاعبوا في نصها) ويقبل ايضاً حكم مجمع اللاذقية وحكم مجمع قرطجنة « ولا يجوز لاحد ان يحرف الاحكام المذكورة » (١

فاذا انتقلنا الى فحص الاحكام المذكورة وجدنا :

١ً ان القانون ٨٥ من قوانين الرسل يزيد على الاثنين وعشرين سفراً المكرمة والمقدسة σεβάσμια καὶ ἅγια ثلاثة اسفار المكابيين ثم يقول: « اعلموا ان احداثكم يجب ان يدرسوا حكمة سيراخ الجزيل المعرفة » (٢

٢ً المجمع اللاذقي يذكر الاثنين وعشرين سفراً ويخص بالذكر باروخ والمراثي ورسائل (او رسالة ارميا) ولا يميز في سفري استير ودانيال بين قسم مقبول وقسم مرفوض (٣

٣ً واخيراً مجمع قرطجنة يعدد الكتب القانونية برمتها كما هي في الترجمة السبعينية ويقبلها كلها ككتب الله المنزلة بلا ميزة بين هذه وتلك وقوله هو الذي اتخذه المجمع الترينتيني بحرفه بغير تبديل (٤

ومن هذه الاحكام نستخلص ما يأتي — وقد استخلصه الروم قبلنا — كما سنبين في النصوص التي سنذكرها في مقالتنا

اولاً ان حكم هذا المجمع يثبت القوانين التي ذكرها وجعلها كأنها احكامه وقوانينه وان تكن صادرة عن مجامع مكانية . ومن ثم جعلها الزامية

ثانياً لا بد من مقابلة الجداول الثلاثة التي وضعها المجمع وتتميم ما ينقص في احدها بما جاء في الجدولين الآخرين ولا يجوز ان نقتصر على المجمع اللاذقي فقط لاننا بذلك نخالف حكم المجمع الذي امرنا ان نقبل جدول قانون الرسل وجدول قرطجنة . فقانون الرسل ذكر اسفار المكابيين وابن سيراخ والمجمع اللاذقي لم يجعل ميزة

---

١) مجموعة المجامع لماني المجلد ١١ العمود ٩٦٠

٢) ماني المجلد ١ العمود ٤٨

٣) ماني المجلد ٢ العمود ٥٧٤

٤) ماني المجلد ٣ : ٩٢٤ والمجلد ٤ : ٤٣٠

بين قسم وقسم من سفري استير ودانيال. ومجمع قرطجنة صرّح بقانونية اسفار طوبيا ويهوديت وحكمة سليمان وابن سيراخ وسفري المكابيين. اذن علينا الرضوخ لامره وقبول قانونية هذه الاسفار. هذه نتيجة منطقية استخلصناها بصريح العبارة من احكام المجامع الواضحة ولا نرى كيف يمكن انكارها

ثالثاً هكذا فهم هذه النصوص كتبة الشرق وقديسوه نخص بالذكر:

١ً القديس اندراوس القريطشي الذي استشهد مرارًا بسفر الحكمة وابن سيراخ وطوبيا ويهوديت والمكابيين وقطع دانيال الخ مثبتًا الايات بقوله: « قال الروح القدس » او « نقرأ في الاسفار الالهية » وما شاكلها — ٢ً القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية استشهد بسفر حكمة وابن سيراخ ويهوديت وقطع دانيال — ٣ً المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) استشهد بسفر الحكمة وابن سيراخ

وهذا حذوهم القديس ثيودورس ونيقيتاس وفوطيوس وسمعان ميتافرستوس وثيوفيلاكتس البلغاري وان شاء صاحب المقالة نشرنا نصوصهم بحرفها (١. اما ما جاء في المقالة بشان القديس يوحنا الدمشقي والقديس نيقيفورس فغير نظر لان نص الدمشقي قد يراد به قانون اليهود الفلسطينيين لا قانون الكنيسة فاننا نراهُ يذكر في مقالاته اللاهوتيَّة ايات من باروخ وسفر حكمة وابن سيراخ الخ. اما نيقيفورس فانهُ يذكر صريحًا قانونية سفر الحكمة وغيره من الاسفار وقد ذهب العلامة شارل دي بودر ناشر تآليفه الاخير ان كتاب « ستيكومتريه » الذي أُخذ عنهُ النص المعارض لتعليم معاصريه في شأن هذه الاسفار هو كتاب نحتق ليس القديس

وقد يعترض علينا الكاتب الاديب بقوله ان قانون الرسل الخامس والثمانين يذكر سفرًا ثالثًا للمكابيين وان بعض الآباء قد استشهدوا برسالة هرماس المسماة « الراعي » وان النصوص القديمة كالنصّ الفاتيكاني والاسكندري او السيناوي تُلحق بالمجموعة احد هذه الاسفار التي يتفق الكل على انكار قانونيتها. اجبناه ان برهاننا لم نأخذه عن مصدر واحد لكن عن لفيف المصادر معًا واننا مقرّون ان بعض الاباء قد ارتأوا قانونية هذا او ذاك من الاسفار التي لا نرضى بقانونيتها. لكننا نرجوهُ ان يعتبر ان البرهان

(١) نحيل القارئ على كتاب جليل في هذا الموضوع للاب جوجي (Jugie) الصوردي فقد انتبسنا منهُ افادات جمة (اطلب المشرق ص ٢١٣)

التقليدي الحقيقي يُؤخذ من اتفاق الاباء الادبي لا من رأي هذا او ذاك على انفراد وان الرأي الذي نحن في صدده هو من قبيل الرأي الشخصي لا التعليم العام ولم يثبت تجاه الاجيال فاضمحلّ والّتي في طيّ الهجران بينما هذا الراي العام الثابت حُفظ مصونًا. وقل نفس الكلام في إلحاق رسالة هرماس بالمجموعة المعروفة باسم النص الاسكندري او السيناوي

وقد يقول ان هذه المجامع لم تذكر كل الاسفار الثانية. نجيبهُ: ١ً قد ذكرها مجمع قرطجنة. ٢ً لما كان السبب لانكار هذه الاسفار الثانيـة واحدًا يعمّ الكلّ — وذلك عدم وجودها في النص الفلسطيني — كان من ثم الرضى باحدها يقتضي الرضى بالكل. وهذا ما يثبتهُ التنقيب التاريخي: فمن قبل سفري المكابيين مثلًا او سفر طوبيا او سفر يهوديت نراهُ يقبل ايضًا سفر ابن سيراخ وسفر الحكمة

وايضًا اذًا قد قبلت الطائفة الرومية هذه الاسفار كاسفار قانونيـة اجابةً لاحكام المجامع ولشهادة الاباء والكتبة الشرقيين في القرون المتوسطة وقد لبثت حافظة هذه الامانة «معتصمة بها لم تقل بسواها ولم يعرض عليها تغيّر» — حتى القرن السادس عشر

البرهان الثالث

في اعتقاد الكنيسة الرومانية بقانونية هذه الاسفار وحربها للمخالفين وسكوت الشرقيين عن هذه العقيدة الرومانية

لا خلاف في ان الكنيسة الرومانية كانت في الاجيال المتوسطة تؤمن بقانونيـة الاسفار الثانية وتستشهدها كما تستشهد كلام الله وقد اقرّ بذلك الكاتب الشهير اليوناني قسطنطين اركونوبوس كاهن الكنيسة الكبرى في القسطنطينيـة في تاريخه المعتبر للترجمة السبعينية. قال: «ان الكنيسة الرومانية تقبل هي ايضًا هذه الكتب (الاسفار الثانية) ككتب قانونية وتكرمها وتقرأها. وهي في هذا حافظة للتقليـد القديم في الكنيسة الواحدة وقد اعلنت رسميًا معتقدها في المجمع التريدنتيني» (١

على ان هذا الاعتقاد الروماني قد اصبح بعد حكم المجمع التريدنتيني عقيـدة

(١) طبعة اثيناسة ١٨٥٩ المجلد الرابع الصفحة ١٢٦—١٢٨ Περὶ τῶν Ὀ' Ἐσμηνευτῶν τῆς παλαιᾶς Θείας Γραφῆς

دينية كثيرها من العقائد يعتبر من ينكرها هرطوقيًا ومحرومًا من الكنيسة. وهي لسري من العقائد العظيمة الشأن لا يمكن للمسيحي ان يغض عنها طرفًا او يستخفها لان كلام الله اساس ديننا فمن تجرأ على ان يعزو الى الله كلامًا هو براء منهُ يرتكب اقبح الآثام والجرائم وليس باخف منهُ اثمًا من يحرم البشر كلامًا قد تنازل الله ولقنه خلائقهُ ليكون لهم تعليمًا للتقويم والتهذيب والخلاص

ومن ثم نقول: لو كانت الكنيسة اليونانية تعتقد عدم قانونية هذه الاسفار لما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانية في امر هام كهذا ولكانت عابت عليها هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غريبة او مكانية صغيرة او كبيرة الا وانتقدت عليها امر الانتقاد حتى ان من طالع بعض كتب الارثوذكس وما جموا فيها وكدسوا من الفروق التي دعوها الضلالات الرومانية يأخذه العجب فلا يدري هل يعزو هذا المسلك للبساطة وللجهل او للوهم ولسوء النية. « وعين البغض تبدي المساوئا » كما قال الشاعر

قال الكاهن والعلامة في التيولوجيا في الكنيسة الروسية الارثوذكسية الاب فلادمير جاته (١: « لامر اكيد ان بين هذه الكنائس المختلفة قد وُجد منافرة عميقة. فمن الجيل العاشر قد اتصلت الى هذا الحد بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية حتى ان ميخائيل كيرولاريوس كان يعيب اللاتين على مجرد بعض اصطلاحات في الفروض مثلًا فيما خص نشيدة هللويا في بعض ايام. وكان يكفي ان يصير الاصلاح عربيًا ليكون حالًا مكروهًا عند اليونان » وهي لسر الحق شهادة صادقة يثبتها التاريخ حتى يومنا هذا. وقد عدّوا البدع والضلالات الرومانية بالعشرات بل بالمئات منها « ان اللاتين يرسمون اشارة الصليب مبتدئين من الشمال الى اليمين » وان « القندلفت قد يتعمد على الهيكل ليطفئ الشموع » واللاتين « ينحتون التماثيل في الكنائس » و « في اوقات الصلاة يجلسون على كراسي ومقاعد » و « يقصون شعرهم » و « يخنقون الزكب يوم السبت » و « يصومون يوم السبت » وغيرها (٢ ولم يكن يعرف الاولون الا خمس اختلافات تعليمية محضة كانوا يتباحثون فيها

---

١) اطلب كتاب الحقائق الارثوذكسية واختلافات النصرانية. الطبعة العربية (الصفحة ٨)

٢) نظرة تاريخية في ضلالات الكنيسة البابوية تأليف الكاهن باسيليوس ميخايلوفسكي عربها من الروسية الارشمندريت رفائيل. طبعت في كازان سنة ١٨٩٦ صفحة ٧٩ الخ. ثم اطلب البينات

على انك اذا تصفحت هذه الكتب العديدة المتشابهة لفظاً ومعنى والمحشوة امر الكلام واظلمه لا تجد ذكراً لهذه العقيدة الرومانية العامة . أو ليس اثبات كلام الله او انكاره اهمّ من قصّ الشعر وحلق اللحى واحناء الركب يوم السبت والجلوس على الكرسي ؟ فليحكم القارئ

واذا تفهت النفس من مطالعة هذه الورقات والكتيبات المتفقة عادة بالمعنى البذي والتحقير للكنيسة الكاثوليكية وأخذتْ الرسائل والمقالات التي اصدرتها مرارًا الاجتماعات الارثوذكسية او السينودسات البطريركية — وعندنا منها شيء كثير — وقلبتها صفحة صفحة لا تجد فيها ذكراً لهذه العقيدة الرومانية . فلو كانت الطائفة الارثوذكسية تخالف تعاليم المجمع التريدنتيني في الاسفار الثانية ألم تكن تذكرها في فاتحة جداول البدع الغربية لانها هي الاهم والاعظم افتراء على كلام الله . ولا يمكن للقارئ ان يعذرها ناسباً اليها الجهل بعقائد الكنيسة الكاثوليكية . ذلك قد يكون الصواب في بعض الكتبة الذين يجدفون على ما لا يعلمون . لكنه افتراء على اصحاب التاليف العامة والرسائل البطريركية وقد صرّحوا مرارًا بمعرفتهم للمجمع التريدنتيني والمجمع الفاتيكاني وانتقدوا على كثير من احكامهما المقدّسة . ومن ثم كان سكوتهم بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قانونية الاسفار الثانية

البرهان الرابع

في شهادة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت

لقد سعى البروتستانت ان يتّحدوا مع الطائفة الارثوذكسية فيجدوا في قدمها عزاء لهم وجواباً على حدوث تعاليمهم . لكن المساعي المتبادلة لم تفلح رغماً عما بُذل من التساهل من كلا الطرفين لبعد البين بينهما (١ لكننا اذ ما تصفحنا تاريخ هذه

الجلية في البدع البابوية استخرجها من اللغة اليونانية الشماس جراسيموس مسرّة . طبعت في بيروت سنة ١٨٨٧ صفحة ٣٥ الخ

١) اطلب مقالتنا في التسع والثلاثين عقيدة انكليكانية والطائفة الارثوذكسية جواباً على ما جاء في المنار الارثوذكسي البيروتي (المشرق ٧ : ٩٣٥-٩٣٨) وقد بيّنا بنشر بعض العقائد الانكليكانية ان الجمع بينها وبين امانة الكنيسة الارثوذكسية من المُحال الممتنع قطعياً

المراسلات في القرن السادس عشر والسابع عشر واوائل الثامن عشر وجدنا برهانًا جديدًا صريحًا لمعتقد الطائفة الارثوذكسية بقانونية الاسفار الثانية خلافًا لمعتقد البروتستانت وحرمانًا لبدعتهم. ولا بد من ذكر السوابق واللواحق ليعلم القارئ حقيقة الخبر

فاول من فاتح الكنيسة الشرقية هو ميلنكتون المبتدع الشهير وذلك سنة ١٥٦٠ في رسالته للبطريرك القسطنطيني يواصاف الثاني فلم تأتِ بنتيجة. ثم خلفهُ معلمو مدرسة « تيبنغه » اللوثرانية فدار البحث بينهم وبين البطريرك ارميا الثاني مدة ٧ سنوات (١٥٧٤ الى ١٥٨١) بلا جدوى لما كان عليه البطريرك من التعلق بايمان اجداده وتكرانه للبدع. فانقطعت العلاقات (١ لكن الشبان الروم جعلوا يؤمّون مدارس اوربة الكبرى ليتلقوا فيها العلوم. ولما كانوا والبروتستانت سواء على انكار التعليم الكاثوليكي آثروا المدارس اللوثرانية والكلوينية على الكليات الرومانية فتراهم يدرسون على اساتذة « ويتنبرغ » و « تيبنغه » وغيرهما من الحافل البروتستانية. وما عتم ان اثر هذا التعليم فيهم فكنت تراهم يتجاذبهم طرفان طرفُ التقليد القديم الذي تلقوهُ عن اجدادهم وطرف البدع الجديدة التي سمعوا وصفها وتتلمذوا لناشريها. ولكي نقتصر على موضوعنا الخاص ضاربين صفحًا عن تاريخ العلاقات بين الارثوذكس والبروتستانت نقول:

ان اول كاتب روسي تعرّض لمسّ الاسفار الالهية هو زكريا غرغانوس تلميذ مدرسة ويتنبرغ في كتاب نشرهُ سنة ١٦٢٢. لكنه لم يرق في اعين مواطنيه فقتلهُ يرخ متى كاربوفيلوس مطران ايكونيوم اليوناني في كتاب سماهُ جدول التعليم المسيحي الكاذب لزكريا غرغانوس. وجاء متروفانوس كريتوبولوس الذي ألفَ معلمي اوكسفرد ويتنبرغ وتيبنغه وكان كيرلس لوكاريوس ارسلهُ الى انكلترة ليحمل الملك كارلوس الانكليزي نسخة الكتاب المقدس اليونانية التي تعرف اليوم بالخط الاسكندري. فقام باعباء الرسالة وعاد الى مدينة هلمشتد من اعمال المانية فالف فيها كتابهُ « امانة الكنيسة الجامعة الرسولية الشرقية » وفيه جادل المراطقة في كثير من مبادئهم وتساهل في غيرها منها قانونية الاسفار الثانية. وزاد منكرًا قانونية باروخ خلافًا للنصوص الصريحة التي اتى بها هو ذاته في غضون كتابهِ. لكنهُ لم يتجرأ على نشر امانته فعاد تاركًا اياها مخطوطة. فجُعل

---

١) وقد نشرت الرسائل المتبادلة بين الفريقين في مدينة ويتنبرغ سنة ١٥٨٤

بطريركاً على الاسكندريّة وبعد وفاته بسنين طبعها في هلمشتد يوحنا هورنيجوس. ولم يكن لكتاب متروفانوس تأثير في حياته لانهُ لم يُعرف ولم يُنشر (١

والمسئولية في نشر المبادئ البروتستنتية اخذها على عاتقه شخص اشتهر في زمانهِ شهرة لا يُحسد عليها في ميلهِ للتعاليم المرطوقيّة وسعيهِ سعياً متواصلاً لا يعرف الملل في بثها بين الشعب الموكولة اليهِ رعايته. نريد كيرلس لوكاريس البطريرك القسطنطيني. ولد في جزيرة كريت سنة ١٥٧٢ وكان اسمه قسطنطين ودرس في البندقية وبادوا وزار مدناً كثيرة فتصادق مع اللوثريين والكلوينيين والانكليكانيين ثم عاد الى الشرق وجُعل بطريركاً على الاسكندرية خلفاً لقريبه ملاثيوس بيغاس (١٦٠٣) ثم على القسطنطينية حيث لبث نحواً من ثماني عشرة سنة بُدّل في غضونها اربع او خمس مرّات الى ان مات خنقاً في ٧ تموز ١٦٣٨. هـذا ملخص حياته نقلاً عن التواريخ الموثوق بصدقها (٢

وقد لعب في زمانهِ دوراً مهمًّا حتى انك تجد في مكاتب الوزارات الافرنسية مئات من الرسائل والمقالات المتعلقة بهِ وقد اسعدنا الحظ فطالعناها ونقلنا عنها شذرات قليلة في كتابنا المعنون باسم الآثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقيـة (٣ ولم يكن دوره

١) اطلب الاب جوجي في كتابه عن قانون الاسفار الالهيـة والكنيستين اليونانية والروسية فقد اكتسبنا مراراً من معارفه. وكتاب الكاتب الانكليزي الاب فورتسكيو (Fortescue) المعنون «الكنيسة الارثوذكسية الشرقية» (لندن ١٩٠٧) صفحة ٣٦٥ر٣٦٥. وميخالسكو. اما متروفانوس فهو الاب الكنسي الوحيد الذي استشهدت بهِ مجلة التعمـة الارثوذكسية بعد ذكرها لاباء القرون الاولى. كانها تجهل ما سنذكرهُ بُعيد هذا من شهادات اربعين او خمسين بطريركاً ومتروبوليتاً من المعاصرين لمتروفانوس والمخالفين لرايه

٢) اطلب في دائرة المعارف للعلماء البروتستنت الالمانيين (Realencyklopaedie) مقالة عن لوكاريس بقلم العالم الالماني ماير ومقالة للعـالم هوفن في المجمع الاورشليمي سنة ١٦٧٢. وايميل لوغران (Em. Legrand) في المكتبة اليونانية. وفورتسكيو صفحة ٣٦٤-٣٦٩ ومجلتي اصداء الشرق (Echos d' Orient) ١٧:٦ والباحث (Etudes) المجلد ١١٣ سنة ١٩٠٧ صفحة ٧٠-١٠١. وكل هـذه المؤلفات لا ينكر احد اهميتها العلمية وصحّة رواياتها التاريخية

٣) اطلب المجلد الاول صفحة ٢٥٢ من كتابنا (P. A. Rabbath : Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient, 1907) وفي المكتبة العمومية في باريس نحو من عشرين مجلداً تحتوي اوراق السفارة الافرنسية في القسطنطينية في زمن لوكاريس. فيا خيبة لو سعى احد الشرقيين فاستخلص منها تاريخاً مدققاً صادقاً لاعمال لوكاريس

لسمو علم او قداسة لكن لاجتهاده ايّ اجتهاد في ادخال المبادئ البروتستانية في الكنيسة الشرقية اجابةً لرغائب اهل البدعة في هولندة والمانية وانكلترة وكانوا قد جعلوا ثقتهم فيه ولم يضنّوا عليه بمساعدة ان مالية وان سياسية. ذلك مما لا ريب فيه كما يشهد به العلماء البروتستانت في ايامنا وتشهد رسائله المحفوظة (١ ومعاريض سفراء الدول الى حكوماتهم الذين دعوه مرارًا نصير الهرطقة وهرطوقيًا (٢. قال سفير فرنسة في القسطنطينية في رسالته للملك بتاريخ ٣٠ نيسان ١٦٢٣: « هذا البطريرك هو هرطوقي خطير لا غاية له الّا تاسيس الكالوينية في كل انحاء الشرقيّة ». وقد ردّد هذا الحكم مرارًا في رسائله (٢ وجعل لوكاريس يستجلب كتبًا هرطوقية لينشرها بين الشعب. قال السفير بتاريخ ٢١ كانون الثاني سنة ١٦٢٤ عن احد هذه الكتب: « هو كتاب كافر لان يغشي وباء الهرطقة في كل انحاء هذه الكنيسة الشرقية المسكينة لانهُ مملوء اراء كالوينية ولوثرية قد تدخل بسهولة في عقول قوم سذّج بسطاء (٣ ». ولم يكتفِ لوكاريس باستجلاب كتب غريبة لكنه سعى بنشر كتاب دُعي الامانة الارثوذكسيّة هو بالحقيقة اقرب للبروتستانية منه للارثوذكسية (٤ فطبعهُ في عواصم الهرطقة وزاد على الطبعة

واحوال البطريركية القسطنطينية في النصف الاول من القرن السابع عشر. وهذه غرة المخطوطات المذكورة (القسم الفرنساوي عدد ١٦١٤٥ وما يليها)

١) قد حُفظ كثير منها بينه وبين قوم من البروتستنت كغروتيوس (Grotius) وابوت ودي دومينيس وغيرهم (اطلب فورتسكيو صفحة ٢٦٤ ودائرة المعارف الالمانية البروتستنتية)

٢) كذا نعتهُ مرارًا سفير فرنسة في رسائله للملك (اطلب مخطوطات المكتبة السمويّة في باريس غرة ١٦١٤٥ صفحة ١٢٦)

٣) اطلب مخطوطات باريس غرة ١٦١٥٠ صفحة ٢٣٩ وكتابنا الاثار الخطية صفحة ٢٥٣ الخ

٤) ان الارثوذكسيين قد اجمعوا على رذل ما جاء في هذا الكتاب من المبادئ الضالّة والمضلّة اجمالًا وافرادًا. لكنهم على رأيين في نسبة هذا الكتاب للوكاريس. فقوم لا يشكّون انهُ هو مؤلفهُ الحقيقي بذاته او بواسطة تلميذه زكريا لكنهم انكروا عليه الحق ان يعرض بدعته بثوب التعليم الارثوذكسي كأنها واحد والكنيسة الارثوذكسية براء من مزاعمه. واكثر هؤلاء معاصرون للوكاريس وقوم حاولوا تقريبه البطريركية او بالحري البطريرك من وصمة الهرطقة وهؤلاء هم اباء المجمع الاورشليمي المنتظم سنة ١٦٧٢ فقد حرموا التعليم المعزو للوكاريس وانكروا انهُ تعليمه. اما العلماء المدققون فقد اثبتوا في ايامنا نقلًا عن الاثار الصادقة ان نسبة الكتاب الهرطوقي للوكاريس امر لا ينكره الّا مكابر (اطلب لوغران في المكتبة اليونانية وماير وهرفان في دائرة المعارف الالمانية)

الثانية اربعة سوالات خص السؤال الثالث بالاسفار القانونية فانكرهـا خلافاً لتعليم كنيسته وجرياً على تعليم البروتستانت. وسنة ١٦٢٨ جاء اطون ليجه الهولندي فاستعان به لوكاريس على فتح مدرسة بروتستانية في القسطنطينية كما استعان بسفيري هولندة وانكلترة للثبات في منصبه او العودة اليه وللانتقام من كل محافظ على المعتقد الصادق سواء من الارثوذكسيين او من الكاثوليكيين. لكن «الله جـازاهُ على سوء عمله لانهُ كان عدواً لكنيسة الله.» كما جاء في المجمع الارثوذكسي الاورشليمي سنة ١٦٧٢

*

على انَّ الكنيسة الشرقية لم ترضَ ان تكون امانة لوكاريس امانتها فحرمتها في المجامع الكنسية التي التأم فيها البطاركة والمطارنة الارثوذكسيون مراراً في خلال مائة سنة دفاعاً عن الامانة الارثوذكسية :

١ سنة ١٦٣٨ المجمع القسطنطيني ترأسهُ البطريرك كيرلس كوتاري خلف البطريرك كيرلس لوكاريس وحضرهُ عدد من الاباء منهم متروفانوس كريتوبولوس صديق لوكاريس القديم . حُرم فيـه الكتاب المعزو للوكاريس وحُرم لوكاريس ايضاً كمبتدع وهرطوقي . ولما كان المجمع لم يصف بالتفصيـل ما رذله من البدع كلَّف احد الاباء الحاضرين وهو العلامة الشهير ملاتيوس سيريغوس ان يدحضهـا بنداً بنداً فقام هذا باعباء المهمة احسن قيام وألَّف كتاباً (١ فنَّد فيه اقوال لوكاريس واثبت اعتقـاد الكنيسة ورذلها للهرطقات ومن ذلك اعتقادها بقانونية الاسفار الثانية الاهية متبعاً

امَّا ما جاء به صاحب كتاب تاريخ الانشقاق (مجلد ٣ : ٢٥٨ الخ) في اضطهاد الجزويت للبطريرك لوكاريس فهو الروايات الخرافية اقرب منهُ للتاريخ. وكأني به اضطهاد العسل للذيب ليس الَّا. ثم لم يكن اليسوعيون على راي لوكاريس وهم المدافعون عن التقليد والكتاب والاسرار وغيرها من العقائد المسيحية في وجه المراطنة ايَّا كانوا ولذا لم يبخل لوكاريس وصديقاه سفيرا هولندة وانكلترة بالمال الكثير ولم يردعهم ضمير ولا شفقة ولا دين عن الافتراء على المرسلين املَّا بدَّ افواههم وطردهم من القسطنطينية ليجعلوا كنيستهم (التي على اسم القديس مبارك) مبدأ بروتستنتيًّا. وعندنا انهُ فرض واجب على الارثوذكس ان يحفظوا احسن ذكر لمن ساعدهم على حفظ وديعة الايمان ويثأروا عليهم الطيب الثناء لردِّهم عنهم غارات اشياع لوثاوس وكلوين

(١ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυρίλλου τοῦ

Λουκάρεως ἀντίρρησις

هذه الاسفار سفراً سفراً وختم مقالته المسهبة بقوله: « لذا لا يجب ان يشك المسيحي باحد هذه الاسفار التي تقبلها الكنيسة كتباً الهية مقامها مقام غيرها من الكتب القانونية. وقاعدتنا الغير المتزعزعة هي الارادة الصريحة التي تظهرها كنيسة المسيح المقدسة... وهي انها لا تميز بين الكتب التي يرفضها كيرلس (لوكاريس) وبين غيرها من الكتب القانونية »

وقد اثنى على كتاب سيريوس المجمع الارثوذكسي الاورشليمي واعتبره امانة صادقة لمعتقد الكنيسة الشرقية

٢ً سنة ١٦٤٢ مجمع القسطنطينية ترأسه بارثينيوس الشيخ البطريرك القسطنطيني وحضره بطرس موجيلا متروبوليت كياف الشهير وفيه جدد الرذل لضلالات لوكاريس. قال المجمع: « اما السؤالات والجوابات التي أُلحقت بفصول الكتاب (اي كتاب لوكاريس) فقد سمع المجمع قراءتها وهي ليست بابخس قيمة من الفصول فان صاحب الامانة ينكر ليس فقط شروح الاباء الاطهار للكتاب المقدس لكنه يبخس قدرَ عدد من الاسفار الالهية التي قبلتها المجامع المسكونية المقدسة كاسفار قانونية »

وهذه الشهادة من الاهمية بمكان لان مجمع ياش ونواب الكنيسة الروسية وعدد من المطارنة قد وقّعوا عليها بيدهم

وعلى اثر المجمع ألف بطرس موجيلا تعليمهُ او كتاب الامانة الارثوذكسية الذي صادق عليه واثبته البطاركة نيكتاريوس ودوسيثيوس وجوانيسيوس ومكاريوس وبايسيوس وقدمة مطارنة وطبع بهمّة باناجيوتي باش ترجمان الباب العالي ووُزع مجانًا وهو يستشهد مرارًا بايات الاسفار الثانية ويصفها بقوله: « هكذا يُقرأ في كتب الله » « وهكذا تعلمنا الاسفار الالهية » و « يقول الله في اسفاره » الخ

٣ً شهادات الكنائس الخاصة: لما كان البروتستنت لم يكفُّوا عن اتهام الكنيسة الشرقية بالمخالفة لهم والرضاء بتعليمهم امر سنة ١٦٧٠ ملك فرنسة لويس الرابع عشر سفيره في القسطنطينيّة المركيز اوليه دي نوانتيل ان يعرض على كنائس الشرق ملخص التعليم البروتستني في اربعة عشر سؤالًا ويطلب من اصحابها الجواب الرسمي عن كل بند فقام السفير بالمهمّة وبعث الى ملكه مجموعة بديعة في نوعها وقّع عليها بطاركة واساقفة الطوائف الشرقية وهي باجمعها تخالف التعاليم المبتدعة وتصرّح بايمانها في الامور الواقعة تحت

الجدال متفقةً بالايمان مع الكنيسة الرومانية. وهذه النصوص الاصلية لا يزال اكثرها محفوظاً في مجموعات الصكوك الدولية في فرنسة وضمها نشرنا (في المشرق ٧:٧٦٦ و ٧٩٥) شهادة البطريرك مكاريوس الشهير. وبين السؤالات سؤال يتعلق بالاسفار الثانية التي ينكرها البروتستانت هل يعتبرها الشرقيون كتباً الهية قانونية وقسماً من كلام الله او لا. والجواب واحد بالمعنى وان اختلفت الشروح وهو ان هذه الاسفار هي جزء حقيقي من الكتاب المقدس وكتب قانونية الهية. وقد يحيلون في البرهان الى اعمال مجمع قرطجنة والى قانون الرسل الخامس والثمانين والى استعمال الاباء الاطهار لها ككتب قانونية. وهاك بعض النصوص والتواقيع:

١ قال البطريرك مكاريوس (مشرق ٧:٧١٧): «فليعلموا هؤلاء المخالفين (كذا) اننا نقبل كافة الكتب الالهية المقدسة التي ذكرها في مجامع البيعة الارثوذكسية وفي سائر الكتب التي للاباء القديسين. ومنهم الابوكاليبسيس ورسالة يعقوب اخو (كذا) الرب وطوبيا ويهوديت وسفر حكمة سليمان وسفر الجامعة وباروخ النبي والمكابيين. فجميعهم نقبلهم ونقرأهم في الكنيسة المقدسة الطاهرة الارثوذكسية». وقد وقّع على هذا الاقرار غريغوريوس مطران بصرى وحوران ويواكيم مطران حمص وتسعة خوارنة وقس. وذلك في دمشق في ٢٠ ت١ سنة ١٦٧١

٢ وصادق على الاقرار السابق مجمع سبعة اساقفة في القسطنطينية في ١٨ تموز ١٦٧١. وهذه اسماؤهم: برطلماوس مطران هرقلة وارميا مطران خلقيدونة ومثوديوس مطران بيزيديا وميتروفانوس مطران سيزيكا وانطون مطران اثينا ويواكيم مطران رودس ونيوفيتوس مطران نيكوميديا

٣ كنيسة جزيرة سيفانتو: وقّع على الشهادة مطران الجزيرة اثناسيوس وستة كهنة

٤ كنيسة اندروس: وقّع مطران اندروس الحالي يعقوب ومطرانها السابق ديونيسيوس وكاهنان

٥ كنيسة اناكسيا: وقع ١٢ كاهناً وراهباً

٦ كنيسة كيفالونيا وزانتو واياثاك: وقّع مطرانها بايسيوس و٣٢ رئيساً وكاهناً

٧ كنيسة جزيرة ميكون: وقّع النائب الاسقفي وعشرة من الكهنة والرهبان

٨ كنيسة جزيرة ميلو: وقّع مطرانها جراسيموس و ١٢ كاهناً وراهباً

٩ كنيسة كيو (صاقص) وقّع مطرانها و ١٦ كاهناً وراهباً

فهذه منتخبات من شهادة الكنائس اليونانية التي تثبت اعتقادها في قانونية الاسفار الثانية اجابة على السؤال المعروض عليها في قانونية هذه الاسفار او عدمها (١

٤ مجمع القسطنطينية الملتئم في كانون الاوّل سنة ١٦٧٢. ترأسهُ ديونيسيوس البطريرك القسطنطيني وجميتهِ ثلاثة من البطاركة القسطنطينيين السالفين وبايسيوس بطريرك الاسكندريّة وحضرهُ ٣٤ اسقفاً: فهو يحيل في الجواب على الاسفار القانونية التي عليها الجدال الى قوانين الرسل واعمال مجمعي اللاذقية وقرطجنة لان فيها جدول الاسفار التي يجب على المسيحي ان يعتبرها كلام الله خلا مقالات اكليمس التي رفضها المجمع السادس لان المراطقة قد حرّفوها. «اما سائر كتب العهد القديم التي لم تذكر في عداد الاسفار الالهية فلا يجب رفضها ككتب وثنية او عالية فان هذه كتب مفيدة لا تستحق احتقاراً». قلنا لما كان قد قبل كاسفار الهية ما ورد تعداده في قوانين الرسل واعمال مجمع قرطجنة حق لنا ان نستنتج قبولهُ صريحاً الاسفار الثانية كقانونيّة وما جاء من سائر الاسفار التي لم تحصَ في قانون الكتاب المقدّس يراد بهِ كتاب عزرا الثالث والمكابيين الرابع

٥ واخيراً شهادة المجمع الاورشليمي (١٦٧٢) والقسطنطيني (١٧٢٣): التأم الاول في اذار ١٦٧٢ وحضرهُ واحد وسبعون من البطاركة والمتروبوليتين والاساقفة من كل الاطراف منهم تيوفانس ويواصاف النابلسيان عن الكنيسة الروسية وهذا المجمع تُعتبر اعمالهُ في الكنيسة الارثوذكسيّة اعظم الاعتبار واليهِ يعود الكتبة اليونان في مباحثهم. ونصُّ الامانة التي سنّها هو نص رسمي لا يقبل زيادة ولا نقصان. اما المجمع القسطنطيني المذكور فقد التأم في ايلول ١٧٢٣ غايته تدوين امانة الكنيسة الارثوذكسية ليُرسل الى بعض من طلبوهُ من اصحاب الكنيسة الانكليكانية رجاء ان تتحد الكنيستان بوحدة الايمان. فاعاد اباء المجمع النظر في امانة ١٦٧٢ واثبتوها. اما التراقيع فهي كما

---

١) قد نُشرت ترجمة هذه الشهادات في كتاب «ثبات الايمان» (Perpétuité de la foi) المطبوع في باريس مجلد ٣: صفحة ٥٦١ الخ

يلي نقلًا من النص اليوناني المطبوع حديثًا (١ : ١ً ارميا . . . البطريرك المسكوني قد وقّعت بيدي واني اثبت واشهد أن هذه هي الامانة الصادقة في كنيستنا الرسولية الكاثوليكية الشرقية ٢ً — اثناسيوس البطريرك الانطاكي الخ . . — ٣ً خريزانثوس البطريرك الاورشليمي — ٤ً تسعة من المتروبوليتين الخ . ومن هذه الظروف يظهر لكل بصير اهمية الشهادة التي نحن في صددها . وهذا نصها اليوناني :

Ἐρώτησις γ' Ἱερὰν γραφὴν ποῖα Βιβλία καλεῖς;

Ἀπόκρισις. Στοιχειοῦντες τῷ κανόνι τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας, ἱερὰν γραφὴν καλοῦμεν ἐκεῖνα πάντα ἃ ὁ Κύριλλος ὁπὸ τῆς ἐν Λαοδικείᾳ συνόδου ἐρανισάμενος ἀριθμεῖ, καὶ πρὸς τούτοις, ἅπερ ἀσυνέτως καὶ ἀμαθῶς εἶτ' οὖν ἐθελοκακούργως ἀπόκρυφα κατωνόμασε· τὴν Σοφίαν δηλαδὴ τοῦ Σολομῶντος, τὴν Ἰουδίθ, τὸν Τωβίαν, τὴν Ἱστορίαν τοῦ δράκοντος, τὴν Ἱστορίαν τῆς Σωσάννης, τοὺς Μακκαβαίους καὶ τὴν Σοφίαν τοῦ Σειράχ. Ἡμεῖς γὰρ μετὰ τῶν ἄλλων τῆς Θείας γραφῆς γνησίων Βιβλίων καὶ ταῦτα γνήσια τῆς γραφῆς μέρη κρίνομεν, ὅτι ἡ παραδόσασα ἀρχαῖα συνήθεια, καὶ μάλιστα ἡ καθολικὴ ἐκκλησία, γνήσια εἶναι τὰ ἱερὰ εὐαγγέλια καὶ τἆλλα τῆς γραφῆς βιβλία, καὶ ταῦτα εἶναι τῆς ἁγίας γραφῆς μέρη ἀναμφιβόλως παρέδωκε, καὶ τούτων ἡ ἄρνησις, ἐκείνων ἐστὶν αθέτησις. Εἰ δίπου δοκεῖ μὴ ἀεὶ πάντα ὑπὸ πάντων συγκαταριθμεῖσθαι, οὐδὲν ἧττον ὅμως καὶ ταῦτα καιρά τε συνόδων καὶ πολλῶν ὅσων τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας παλαιοτάτων τε καὶ ἐγκρίτων θεολόγων ἀριθμεῖται καὶ συγκαταριθμεῖται τῇ πάσῃ γραφῇ, ἃ πάντα καὶ ἡμεῖς κανονικὰ Βιβλία κρίνομεν, καὶ ταῦτα τὴν ἱερὰν γραφὴν εἶναι ὁμολογοῦμεν.

وتعريبها بالحرف الواحد : « السؤال الثالث : اي الاسفار تسميها الكتاب المقدّس ؟ (الجواب) : « اننا تبعًا لقانون الكنيسة الجامعة ندعو كتابًا مقدسًا جميع الاسفار التي احصاها كيرلس [لوكاريس] نقلًا عن مجمع اللاذقية وما خلاها تلك الاسفار التي بغير تورّ ويجهل او بالاحرى بتعمّد شرير دعاها ابوكريفا وهي حكمة سليمان ويهوديت وطوبيا وخير التنين وخير سوسان والكابيين وحكمة سيراخ . ونحن نحكم ان هذه ايضًا هي جزء حقيقي من الكتاب الالهي مع سائر اسفار الكتاب المقدّس الحقيقية وذلك لان التقليد القديم او بالاحرى الكنيسة الجامعة التي سلمتنا الاناجيل المقدّسة والكتب

١) مافي مجموعة المجامع ٣٧ : ٥٤٢-٥٨٠

الأخرى المقدسة كتآليف مقلة قد سلمتنا بلا ريب هذه الاسفار ايضاً كقسم من الكتاب المقدّس حتى ان من ينكر هذه ينكر تلك. على انهُ اذا كانت كل هذه الاسفار لم تحصَ دائماً ومن الجميع لكنها مع ذلك قد قبلتها المجامع وعددٌ عديد من لاهوتيي الكنيسة الجامعة الاكثر قدماً وتدقيقاً واضافوها الى الكتاب المقدّس. وجميع هذه الاسفار نحن ايضاً نحكم انها اسفار قانونية ونعترف انها الكتاب المقدّس »

اتكون شهادة اصرح من هذه على صدق قانونية الاسفار التي ينكرها صاحبا النعمة والكلمة؟ اليس هذا هو معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة كما بيَّناهُ جليًّا؟ وايُّ برهان افصح من ذكر احكام المجامع المتعددة المتفقة لفظاً ومعنًى والمدافعة دفاعاً حرًّا عن وديعة الايمان

البروتستنت والكنيسة الارثوذكسيَّة

ولعلَّ سائلاً يقول: ما لنا مع ذلك نرى بعض الكتبة الروم الارثوذكس ينكرون هذه العقيدة ولا يخشون معارضاً؟ وكيف يدّعون ان تعليمهم اليوم هو التعليم الذي ما برحت الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسيَّة معتصمة به؟

جوابنا: انَّهم يجهلون تاريخ طائفتهم وكتب بطاركتهم ومجامعهم. وعوضاً عن ان يدرسوا العقائد والتاريخ في منابعه الاصليَّة نراهم يشربون مياه السواقي مهما تعكرت. وهذا ما جرى في مسألة الاسفار الثانية. وها انا نتتبع الان تاريخ هذه العقيدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فنبين ان السمَّ قد الفاه البروتستنت في صدر الكنيسة الروسية ومنها امتدَّت العدوى الى بلادنا رويداً رويداً. لكننا نعتبر الكنيسة الرومية في بلادنا غير راضية بهذه البدعة ولن تتساهل في اغضاء الطرف عنها وذلك عن بساطة ان لم نقل عن عدم اكتراث بوديعة الايمان

قد فشا الداء في البلاد الروسية ايام نهضتها زمن بطرس الكبير. فان القيصر استمدَّ مساعدة الكثيرين من البروتستنت. قال فيلاريت المتروليت في تاريخ الكنيسة الروسية: « كان في هذه الفترة الحرس والوزراء والمجمع العلمي والجيش والبحرية في قبضة البروتستنت ». وقد قام بدسّ التعليم البروتستني فيوفانوس بروكوبوفيتش الذي ترأس المجمع العلمي في كياف. قال فيلاريت في تاريخهِ السابق ذكرهُ

ان « فيوفانوس كان يبغض الكنيسة الرومانية بغضاً تجاوز فيه الحدود ولا ينكر اعجابه بلوثر وكالفين . . . وكان فيوفانوس في كل حياته مقتدياً بروح العالم خالياً من روح المسيح محباً للفخفخة عائشاً عيشة سيئة » فانكر هذه الاسفار الثانية بداهين غريبة في بابها . وانتشر تعليمهُ لعلوّ منصبه وصداقة القيصر لهُ . فقام عليهِ جدعون فيشنفسكي وتيوفيلكتوس لوماتنسكي والاكسرخس اسطفان ايافورسكي فدحضوا مبادئه والّف ايافورسكي كتاب « صخرة الايمان » لاثبات العقائد الارثوذكسيَّة ضد فيوفانوس . منها العقيدة في قانونيَّة الاسفار الثانية (١ وشاركهم في المعتقد الصادق متربوليت روستوف ديمتري (الذي دوَّنت الكنيسة الروسية اسمهُ في عداد القديسين) كما يظهر جليًّا من تآليفهِ ومواعظهِ المطبوعة في موسكو سنة ١٨٣٩ . وفي سنة ١٧٢٣ بعث بطاركة الشرق الى روسيَّة بالرسالة السينودسيَّة التي سبق لنا وصفها قبلها المجمع والكنيسة الروسية كقاعدة الايمان الارثوذكسي . لكن الداء البروتستني كان يمتدّ يوماً بعد يوم بسعي فانكونسكي وليبيدنسكي وفيلاريت ومكاريوس ولذا لما جددوا سنة ١٨٤٠ طبع « رسالة البطاركة » التي ذكرناها ضرب مجمع بطرسبورج الصفح عن القسم الثالث الذي نقلناهُ لئلا يعرف القارئ اهانة الكنيسة الارثوذكسيَّة . وهذا امر لا يرضى بهِ كاتب امين فما قولك في ابطال جزء من عقيدة الايمان ؟ وقد اقرّ الكسيس سبيرنسكي وجوفيروف ان هذا التعليم (اي تعليمهما الباطل) لم يتمكن حتى ايامنا من الافكار في الكنيسة الروسيَّة

*

ومن البلاد الروسية سرت العلة الى البطريركيات الشرقية لان ابناءها من اليونان والعرب جعلوا ينقلون الكتب الروسيَّة الى لغاتهم دون تنقيب ولا بحث . ولا ندري هل قام الاكليرس الارثوذكسي بواجب السهر على وديعة الايمان التي شهدوا بها مرارًا كما

---

١) وقد مدح هذا التاليف استورزا الارثوذكسي في كتابهِ « المقابلة المضاهئة » طبعة القدس سنة ١٨٦٠ صفحة ٥٠ فوصفهُ بما حرفهُ : « التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي رئيس اساقفة ريزاني المتون « بصخرة الايمان » الحاوي الاعتبارات الراسخة والشامل كل الابحاث المجادل بها من اصحاب التغيير الملتئين في الدهر السادس عشر حيث تذكر حرفيًّا ادنى البراهين ايضاً التي ينصبها اصحاب التجديد ضد تعليم الكنيسة وتقاوم وتُرِدُّ عليها واحدًا فواحدًا »

بيننا . ففي سنة ١٧٨٢ ترجم ادامنتيوس كورايس الصاقصي كتاب بلاطون مقرولت موسكو فابطل منهُ ما شاء وزاد عليهِ حواشي اقتبسها من مقرفانوس كيتوبولس كما اقرّ ومن محادثاته مع صديقيه يوزدس كوين البشر الكلويني في قنصليَّة هولندة بازمير وادريان بورت كاهن كلويني في امستردام حيث اقام كورايس مدَّةً للتجارة . وقد طبعت كتبهُ في ليبسيك من اعمال المانيا وفي امستردام عاصمة هولندة وغيرها من المدن . وفي هذه الكتب ينكر الاسفار الثانية كما جاء في حواشيهِ على كتاب بلاطون Ὀρθόδοξος διδασκαλία) مع ان بلاطون على ما نظنّ كان مخالفاً لمبدإ بروكوبوفيتش محافظاً على الاعتقاد بقانونيَّة الاسفار الثانية لاستشهاده بها مراراً (١ ولم يكتفِ كورايس بانكار هذه الاسفار المقدَّسة لكنه تجرأ بعيد ذلك على انكار الفرق بين الاسقف والكاهن والشماس والانتقاد على الاصوام والطقوس الارثوذكسية الخ

وسعى مساعُ تيوفيلوس بابافيلوس واوجين بولغاريس وغيرهما لكن الايمان لم يُحرم من المدافعين فقام قسطنطين اوكونوموس مقتدًا تعليم كورايس . ثم اظهر موسكوبولس الذي الف « ملخص اللاهوت » (٢ ومن قولهِ ما جاء لهُ في الصفحة ١١ من طبعة ١٨٥١ في جزيرة كيفالونيا :

وما خلا الكتب القانونية الاولى يوجد كتب اخرى تُدعى قانونية ثانية لانها لم تعلها الكنيسة اولًا في القانون وذلك لان البعض من المؤمنين كانوا يشكُّون في قانونيتها . وهي هذه للعهد العتيق :

---

١) كذا قرأنا في كتاب الاب جوجي (Jugie) الصوردي (اطلب الصفحة ٣١٣) وصفًا للترجمة اليونانيَّة التي طبعت في القسطنطينية سنة ١٨٣٥ نقلًا عن الاصل الروسي وقد تطاول مترجمو كتب بلاطون على نص المولف فحرَّفوا وزادوا ونقَّصوا وحشَّوا الخ فانكر المولف عليهم عملهم على ما اخبر الكاتب المابتربوتس . وليس لدينا نسخ اصلية لكتب بلاطون لتأكد الامر عيانًا ونقابل بين ما هو للمولف وما هو للمترجمين والطابعين . على ان الطبعة العربية المعربة « ببعض تصرف » بقلم المارّي يوحنا حزبون سنة ١٨٩٧ عن المتن اليوناني الذي نقف عبارته الاستاذ قسطندي قسطوريدس واصلح ترتيبه وعلَّق عليهِ بعض حواش « تالف ما استشهدنا بهِ في النص فانما ندعو اسفار المكابيين وحكمة سليمان وسيراخ الخ ابوكريفا وغير قانونية . ولا ندري هل الفقرة للمولف او لغيره . وقد قابلنا بين الابواب والفصول التي ذكرها الاب جوجي في وصفهِ وبين ابواب وفصول الطبعة العربية فلم نصل الى نتيجة لعدم مطابقتهما لبعضهما . والله اعلم

٢) Ἐπιτομὴ τῆς δογματικῆς καὶ ἠθικῆς Θεολογίας

حكمة سليمان وحكمة سيراخ وطوبيا ويهوديت وباروخ . . . وهذه الكتب يعدها القانون ٨٥ من قوانين الرسل . وكنيسة المسيح باسرها تقبلها وتعتبرها في مصاف القانونية الاولى . ويوجد ايضاً قطع قانونية ثانية وهي في العهد العتيق : السبعة الفصول الاخيرة في سفر استير وترنيمة الثلاثة الفتيان واخبار سوسان وبيل والتنين الموجودة في سفر دانيال . هذه القطع تقبلها ايضاً الكنيسة ككتب حقيقية مقدسة على مثال الاسفار القانونية الاولى

ثم نيقيفوروس ثيوتوكيس نشر في ڤينسة كتاب الكاهن كليان (اكليمنتوس) باللغة اليونانية وفيه دفاع مسهب عن الاسفار الثانوية . ثم نشر راهبان يسميان اغابيوس ونيكوديموس من رهبان جبل اثوس شرحاً مهماً على القوانين سُمّي بيدالیون (Πηδάλιον) وقد ذكر هذه المجموعة صاحب المقالة في النعمة لكنهُ سها عن ملاحظة ما جاء في الكتاب من التعاليم الموافقة لقانونية الاسفار الثانية فانَّ صاحبَيه يقبلان حكم مجمع قرطجنة بدون خلاف ويدافعان عن قانونيَّة عدد من هذه الاسفار وان شكّا في سفر نحميا وفي القطع اللاحقة بدانيال . ثم قام الكاهن قسطنطين اوكونوموس وكيل الكنيسة الكبرى والف كتباً جمة اهمها تاريخ الترجمة السبعينيَّة للعهد القديم طبعهُ في اربعة مجلدات في اثينا . وقد اثنى على مؤلفه ثناء ممتازًا خمسة من بطاركة القسطنطينية على انها التعليم الارثوذكسي الصادق وهم البطريرك انثيموس السادس مع سينودس سنة ١٨٤٨ وانثيموس الرابع وقرسطنسيوس الاول وغريغوريوس السادس وجرمانوس الرابع كما تشهد بذلك رسائلهم المطبوعة في صدر المجلد الرابع وقد دافع اوكونوموس احسن دفاع عن قانونيَّة الاسفار الثانية في ١٢٠ صفحة من كتابه . قال عن قانون مجمع قرطجنة في الاسفار الثانويَّة :

« ان هذا القانون قد اثبتهُ المجمع المسكوني السادس ومن ثمَّ قد اتخذ من هذا الاثبات سلطة مسكونية وجامعة فان العقيدة في وحي الكتب المسماة ἀναγινωσκόμενα هي كانت تقليد قديم من الاباء القديسين وعلى هذا التقليد استند مجمع قرطجنة فامر ان تُقرأ هذه الاسفار مع الاسفار القانونية الاولى » . . . وقال : « والكنيسة الرومانية ذاتها تقبل ايضاً وتكرم وتقرأ هذه الاسفار وهي في هذا حافظة التقليد القديم للكنيسة الواحدة وقد اشهرت رسمياً معتقدها في المجمع التريدنتيني » . وقال ايضاً : « ان هذه الاسفار قد استُعرفت رسمياً من المجامع المسكونية للكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية عهود الحق فان هذه المجامع قد اثبتت بمجمع قرطجنة المكاني ولذا فان كنيسة المومنين الارثوذكسية تعترف قانوناً واحداً يضم كل الكتب الموحى بها في العهدين العتيق والحديث وهو القانون الكنسي وبحسب هذا القانون فان الجدول الكامل للعهد العتيق يحتوي على كل الاسفار القانونية الموجودة في جدول عزرا وكل الاسفار ἀναγινωσκόμενα

على اضا جزء من الكتاب المقدس ولا فيز كأن في هذه الاسفار درجة من الوحي اقل او اضعف او انقص

ثم اسكندر استورزا المعلم بمدينة اودسا في كثير من كتبه منها كتاب المقابلة المضاعفة (Διπλοῦν παραλληλον) المترجم الى اليونانية من السيد قسطنطين تيالدس رئيس مدرسة خالكي اللاهوتية ومنها الى العربية من احد المطارنة وابناء الكرسي الانطاكي. وقد طبع في اورشليم بامر غبطة البطريرك كيرلس الاورشليمي سنة ١٨٦٠ فانهُ يستند في اظهاره امانة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت على « التعليم المسيحي الكبير تاليف بطرس موجيلا مطران مدينة كياف .. وعلى اعتراف الايمان المرسل من بطاركة الشرق الى مجمع روسية المقدس سنة ١٧٢١ وعلى التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي » وهؤلاء كما رأينا من المدافعين عن قانونية الاسفار الثانية. قال استورزا في الفصل السابع في حال النفوس السعيدة بعد الموت وفي التضرع من اجل الراقدين صفحة ٩٩ و١٠٠ من الطبعة العربية) :

« وعادة التضرع من اجل الراقدين هي اقدم من تأسس مخاصنا ايضاً . ولكي تتحقق ذلك لنفتح اولاً صحف العهد العتيق الموحى بها من الله . ففي كتاب المكابيين الثاني (ص ١٢ عدد ٣٢) نجد محرراً ان (الاسرائيليين) توجهوا لتضرع (من اجل القتلى الذين سقطوا في الحرب) متحققين ان الخطية المرتكبة تمحى بالكلية ثم بعد ذلك محرر « ان يهوذا المكابي جمع الفي درهم فضة على عدد الرجال المحاربين وارسلها الى اورشليم لاجل تقدمة ذبيحة عن خطية (الموتى). وباطلاً يرفض الذين يضادون التضرعات من اجل الراقدين صحة كتاب المكابيين هذا بدعوى انهُ غير قانوني لان الكنيسة تعرفهُ قانونياً بموجب حكم قوانين الرسل (قانون ٨٥). ثم ان كتاب طوبيت يقول « اسكب خبزك وخمرك على قبور الصديقين ولا تعطها للخطأة (طوبيا ص ٤) فاباء الكنيسة الغديسون يستنتجون من هذا النص وجوب اعطاء مأكولات ومشروبات للفقراء تذكاراً للموتى. ثم اتنا في كتاب حكمة سيراخ (ص٧ ، ٣٥) نجد محرراً هكذا: « لتكن نعمة الاعطاء امام كل حي ولا تمنع نعمة كل ميت » فليس القصد بهذا القول ايضاح وجوب دفن الموتى لان هذا الواجب هو في الوقت ذاته ضرورة مطلقة . راجع المقالة البديعة عن هذا النص التي للسيد فيلاريطس مطران موسكا الكلي الطهر (مجلد ٢ من مجموع المواعظ والمقالات الكاملة صفحة ٣٩٤) من سفر الملوك الاول (ص ٢١ ع ١٣) ومن نبوات ارميا (ص ١٦) ومن سفر الايام الخ » (انتهى)

فاي برهان اثبت من اعتبار استورزا لقانونية هذه الكتب كما يعتبر قانونية سفر الملوك ونبوة ارميا وسفر الايام

ولنقف هنا عند هذه الشهادات غير ذاكرين شهادة كاليفرونوس وبرزداكيس ونكتاريوس كيفالاس وغيرهم الموافقين للتعليم القديم في قانونية الاسفار الثانية رغماً عما نُشر وعُرّب موخراً عن الكتب الروسيّة التي بواسطتها جعل الخلاف يمتدّ بين ابناء الكنيسة وهي تمانع وتدافع عن الحقيقة. ولنا في قولنا شاهد عظيم ألا وهو شهادة البطريركيّة الانطاكية الارثوذكسيّة سنة ١٨٧٠ وذلك انها لما رأت ان المطبعة البروتستنتية قد ابطلت الاسفار الثانوية من الكتاب المقدّس نشرت هذه الاسفار في الكتاب الآتي: «كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة المقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية. طبع بالمطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايرتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي في بيروت سنة ١٨٧٠» ويليه المقدمة بامضاء الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وها نحن ننقل بعض فقرها بالحرف الواحد:

وبعدُ. ان الكتاب المقدس اذ طبع عربياً قد اهملت منهُ هذه الاسفار المقدسة بدعوى انها مجهولة او لاسباب أُخر. مع ان الجمهور المسيحي شرقاً وغرباً في صدر النصرانية الاقرب عهداً من الايمان قد استعملها كقسم من اجزاء الكتاب المقدس الصحيح الاعتبار». . .

«وضروري هنا ان نورد الشهادات التي توضح ان هذه الاسفار مثبتةٌ من الكنيسة ومقبولة نظير الكتب القانونية وهي هذه...

وبعد تعداد البراهين قال:

ان المجمعين اللذين انعقد احدهما في القسطنطينية ثم كمل في ياش سنة ١٦٤٢ في رياسة برثانيوس البطريرك القسطنطيني المدعو شيخاً وبحضور بطرس موجيلا مطران كيف وكل بلاد روسيا. والثاني في اورشليم سنة ١٦٧٢ في رئاسة دوسيثاوس البطريرك الاورشليمي. فهذان المجمعان قد أعلنا ان الكتب المقروة اعني بها كتاب استير وكتاب يهوديت وحكمة سليمان وحكمة ابن سيراخ واسفار المكابيين هي كتب مقدسة الهية

هكذا ان الكنيسة الشرقية حافظةٌ هذا الترتيب نفسهُ بقبولها الكتب المقروة بتلاوة كتب شريفة الهية كما اعلن بذلك المجمع الترينتيني. ان الكنيسة شرقاً وغرباً قد تسلمت كتاب العهد العتيق بالنسخة السبعينية التي فيها كانت هذه الكتب مضمومة كلها كتاباً واحداً بلا امتياز وفي مدة تيّف عن الف وخمسمائة سنة كانت تستعمل الكتاب بالاسفار المذكورة تماماً. وحتى الجيل السادس عشر لم يكن احد من الطوائف النصرانية يعترض على استعمالها الّا في هذه الازمنة الاخيرة بعد انفصال قوم عن الكنيسة الشرقية. فمن حيث ان هذه الكتب مقبولة في جميع الكنائس المسيحية

(اي اللاتين والارمن والسريان الخ) فلا التفات الى طائفة واحدة تنكر استعمالها . لاسيما ان كنيستا الارثوذكسية تتلو طقساً في صلواتها قرآنات من حكمة سليمان نظير ما تتلوه من الامثال . ومن اقوال باروخ وتسبحة الثلاثة فتية وصلوة منسّى الملك وما شابه ذلك . وهذا لعمري مرتب من مشاهير اباء الكنيسة الافاضل المشهود لهم باللوم الالهية والطبيعية والمعارف والتقوى والقداسة الذين اذا ما اردنا ايراد شهادتهم تفصيلاً يتقضي الامر بنا الى الاطالة »

*

الخاتمة : فمن هذا يتضح جلياً لكل ذي نية سليمة ان الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسية كانت تعتقد بقانونية هذه الكتب الالهية . فان قالت اليوم بسواه وعرض عليها تغيّر فتكون قد فقدت في فترة وجيزة عقيدة مقدَّسة من وديعة الايمان وهي على قولها « المصومة عن الغلط والضلال » فيا للاسف ! . وان كانت لا تزال معتصمة بقول البطاركة والمطارنة والمجامع الارثوذكسية وجلّ الكتبة الارثوذكسيين الذين تتبعنا اقوالهم فما لها تجيز نشر مثل هذه المقالات الضالَّة المضلَّة في مجلتين لارثوذكسيتين مجلة « النعمة » التي تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق ومجلة « الكلمة » التي يصدرها سيادة الاسقف وفائيل هواويني الارثوذكسي في نيويورك

ولنا امل ان غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي المبجَّل لا يسمح في ايام رئاسته ان يسطو الضلال على وديعة الايمان المقدس فيختلس قسساً من اسفار الله وله في سلفائه مثال طيّب يأتي به للدفاع عن الحق راجين ان يعلن رسمياً لراحة ضمير الكثيرين صدق المعتقد الذي ما برحت الكنيسة الشرقية معتصمة به اعني قانونية الاسفار الثانية وتنزيلها

المعارض الوطنيَّة

بقلم مكاتبنا الاديب احمد افندي تقيّ الدين

(المشرق) نرغب كل الرغبة في انشاء المعارض الوطنيَّة لترويج نطاق صناعة بلادنا وتنزيز تجارتها . وقد فتح المشرق باباً لوصف الصنائع الوطنيَّة واعمال ارباحها كما يتَّضح من فهارسه السنوية . ولمَّا أنشى في الشوير اوَّل معرض وطني أسرعنا الى تنشيطه بالمشرق لكنَّ آمالنا فيه قد خابت نوعاً لمَّا رأينا اصحابهُ يتحرَّون فيه ليس الخدمة الخالصة للوطن ل ترويج بضاعة أخرى لا يمكننا الانجار بها نريد نشر ما يدعونهُ « بالمبادئ الحرَّة » . ومن ثم اصطبغ ذلك المعرض بصبغة مشؤمة